

رمزية اللباس التقليدي للمرأة عند "المهاذبة" بمنطقة المزونة (مقاربة أنثروبولوجية)

The Symbolism of Traditional Clothing for Women in the "Mhadhba" Tribe in
the Mezzouna Region (An Anthropological Approach)

بوعزيز سمحون *. تونس، وزارة التربية الإيماراتية، azizsamhoun@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2025/06/30

تاريخ القبول: 2025/06/09

تاريخ الإرسال: 2025/03/31

ملخص:

يمثل اللباس التقليدي مكوناً مهماً من مكونات الهوية الثقافية لكل مجتمع، ويعكس خصوصياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. اهتمنا في هذه الدراسة بالبحث في أصناف اللباس التقليدي للمرأة عند المهاذبة بمنطقة المزونة، حيث يعكس هذا اللباس تنوعاً ثقافياً مميزاً. حاولنا فك شفرات الأزياء وقراءة الرموز والدلالات التي تُظهر بشكل واضح الوضع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للمرأة. يرتبط اللباس التقليدي بشكل وثيق بتحديد الهوية الاجتماعية وطبقات المجتمع، مما يتيح لنا التمييز بين الأفراد في المناسبات اليومية، الاحتفالية، والتقليدية. تختلف الأزياء حسب المواد المستخدمة والأشكال، وتنوع أيضاً حسب الفئات الاجتماعية. يصنف اللباس التقليدي للمرأة "المهذبية" إلى عدة أقسام، تشمل ملابس الرأس مثل المحرمة والفرّاد، وملابس البدن مثل السورية والملحفة، إضافة إلى ملابس القدم مثل البلغة والكوترا. كما تُعتبر الحلي جزءاً لا يتجزأ من اللباس، إذ تُظهر الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: اللباس التقليدي، الهوية، التراث، الرمزية، اللباس النسائي

Abstract:

Traditional clothing represents an important component of the cultural identity of every society, reflecting its social, economic, and cultural particularities. This study focuses on examining the types of traditional clothing worn by women in the "Mahadhba" tribe in the Mezzouna region, where this clothing reflects a unique cultural diversity. We aimed to decode the fashion and interpret the symbols and meanings that clearly reveal the social,

economic, and psychological status of women. Traditional clothing is closely linked to defining social identity and societal classes, allowing us to distinguish individuals based on their attire in daily, festive, and traditional occasions. Fashion varies according to the materials used and the designs, and it also differs across social categories. The traditional clothing of women in the Mahadiba tribe is classified into several categories, including headwear like the "muharrama" and "farrad," body garments like the "suriya" and "malhafa," and footwear such as the "balgha" and "kontra." Additionally, jewelry is an integral part of the attire, showcasing the economic and social status.

Keywords: Traditional clothing, identity, heritage, symbolism, women's clothing.

مقدمة

مثلّ اللباس مقوماً مهمّاً من مقومات الهوية الوطنية المحلية لكل شعب من الشعوب، وهو يشتمل على مكونات وعناصر تستند إلى المعرفة الفنية والخبرة الجمالية. وتجدر الإشارة أن اللباس والزي قد ارتبطا منذ القدم بتعريف الأمم والشعوب، ليكونا بذلك الواجهة التي نتعرف من خلالها على هوية من يلبسه، وبه نميّز بين التنوع الاجتماعي والطبقات الاجتماعية والمناسبات اليومية، والاحتفالية، والثقافية، وغيرها. وقد شهدت البلاد التونسية، تعايش هذه الأصناف المختلفة ضمن الأزياء التقليدية التي ما تزال مستعملة إلى اليوم. (مجموعة من الباحثين، 2021. صفحة 11) تعتبر الأزياء التقليدية للمرأة عند "المهاذبة"² بمنطقة المزونة³ أحد أهم عناصر الثقافة المادية. وتشتمل على اللباس والحلي. ويمكن تصنيف حلي المرأة بالبلاد التونسية إلى صنفين وذلك حسب المادة الأولية المصنوعة منه. حلي من الذهب وحلي من الفضة. تتميز هذه الأزياء بتنوعها ورائها واختلاف وظائفها، وخاصة منها الحماية، والجمالية، والثقافية، والرمزية الدلالية التي من خلالها يمكن أن نتعرف على أهم خصوصيات وملامح الهوية الثقافية "للمهاذبة" بمنطقة المزونة. والكشف عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية، والنفسية

² المهاذبة نسبة إلى الولي الصالح "سيدي مهنّز"، أصيل الساقية الحمراء، قبيلة مجاورة لقبيلة الهمامة من الناحية الشمالية، وأولاد منصور من الجهة الغربية، وعرش عوين من الحدود الشرقية للقبيلة.. وهي من أكبر العروش الموزعة على أكثر من مكان بالبلاد التونسية. (الحياشي، 2016، صفحة 22).

³ المزونة هي مدينة تقع في الوسط الشرقي للبلاد التونسية، وتحديدا في أقصى شرق سلسلة جبال قفصة، على سفح جبل النجيات الذي يبلغ ارتفاعه 411 م عن سطح البحر. تحدها شمالا الرقاب من ولاية سيدي بوزيد وجنوبا معتمدية منزل الحبيب من ولاية قابس ومعتمدية بلخير من ولاية قفصة وشرقا معتمديتي الصخيرة وبئر علي من ولاية صفاقس. أما غربا فتحدها معتمدية المكناسي من ولاية سيدي بوزيد. (سمحون، 2013، صفحة 10).

للمرأة. وقد قمنا بالبحث في الأزياء التقليدية في النصف الأول من القرن العشرين، قصد التعرف إلى ما كان سائدا حينها. وذلك من خلال بحث ميداني أجرينا خلاله مجموعة من المقابلات مع رجال ونساء كبار السن. أيضا تتميز هذه الفترة بتواصل حضور الأزياء التقليدية عند "المهاذبة" بمنطقة المزونة وفي المجتمعات الريفية والبدوية بالبلاد التونسية بصفة عامة. نظرا لقلّة انفتاحها على المدن الكبرى، التي تتميز بتسارع نسق التحولات في اللباس. حيث لاحظنا وجود تداخل بين الأزياء التقليدية والأزياء الدخيلة. ومع أواخر القرن العشرين اندثرت الكثير من الأزياء التقليدية نتيجة تأثير العولمة وانتشار ثقافة كونية موحدة. وسنحاول انطلاقا من مبحث أنثروبولوجي إبراز تنوع الأزياء التقليدية للمرأة في قبيلة "المهاذبة" بمنطقة المزونة. وكشف أهم رموزها ودلالاتها التي يمكن من خلالها التعرف إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة التي ترتديه.

1-نبذة تاريخية

يبدو القاسم المشترك بين هذه الزياء هو الأصول العربيّة ومختلف الروافد الحضاريّة التي حلت بنفس البلدان فألهمت الحائك تقنيات ومواد جديدة ألهمته لابتكار نماذج تحمل هويته الوطنيّة المميّزة لبلده، حيث إن "بلاد المغرب الكبير وخصوصا البلاد التونسيّة، شهدت تعايش هذه الأصناف المختلفة ضمن الأزياء التقليديّة التي ما تزال مستعملة إلى اليوم. (مجموعة من الباحثين، 2021، صفحة 11)

وبالنسبة للباس النسائي، فإن المعطيات التاريخية، تذكر أن جذوره تمتدّ إلى العهد البوني، حيث تميّزت هذه الفترة بازدهار اللباس النسائي ومتعلقاته من مواد تجميل وأدوات زينة. حيث كانت المرأة البونيّة تهتم كثيرا بأنافتها فكانت تعني كثيرا بلباسها وزينتها التي تتناسق مع تسريحة شعرها، ويذكر محمد حسين فنطر في هذا الإطار "وتجدر الإشارة أيضا إلى وجوه نسائيّة تُحفر على فصوص بعض الخواتم أو تُنحت على بعض القطع النقدية لا تخلو من عناصر التجميل، فمن مميّزات النقود التي ضربت في دور السكة القرطاجيّة طلعة إلهة يتدل من أذنها خرصان وفي جيدها عقد من ذهب منضود (فنطر، 1999، صفحة 217). لا يزال التونسي متمسكا ببعض الملابس التقليديّة التونسيّة التي يرتديها في المناسبات الرسميّة مثل الجبّة والشاشية للرجال أو فساتين العرائس والمصوغ التقليدي المتنوّع حسب الجهات بالنسبة للنساء (التيوموي، 2021، صفحة 21)

2- مكونات اللباس التقليدي للمرأة عند "المهاذبة"

1.2- لباس الرأس

1.1.2- محرمة:

هي قطعة من القماش رقيقة وخفيفة تُوضع مباشرة فوق الشعر وتعتبر إحدى العناصر الأساسية في اللباس التقليدي النسائي، إذ تؤدي وظيفة عملية وجمالية في آنٍ واحد، وتكون غالبًا داكنة اللون كالأحمر القاني أو الأسود (Villot, 1888, p. 101) لتتسجم مع باقي مكونات اللباس ولتتخلف على طابعها العملي. المحرمة تُستخدم أساسًا لحماية الأغشية التي ترتديها المرأة فوق رأسها، كالوشاح أو الخمار، من آثار زيوت الشعر. "الذي كانت المرأة تستعمله يوميًا لتليين الشعر وتسهيل تسريحه. وبهذا، تجمع هذه القطعة بين الحفاظ على النظافة الشخصية وصيانة مكونات الزي الأخرى من التلف أو التبقّع.

تتنوع الأقمشة المستعملة في صناعتها إذ تُصنع أحيانًا من الكتان البسيط أو من أقمشة أكثر فخامة مثل الحرير والصبّار أو "الصتّان" الذي يتميز بلمعانه ومتانته. كما تُختار ألوانها بعناية، وإن كانت الألوان الداكنة الأكثر انتشارًا، خصوصًا في الاستخدام اليومي، إلا أن النساء في المناسبات قد يخترن ألوانًا أكثر إشراقًا أو مزينة بخيوط لامعة. (الكثيري، 2016).

2.1.2- فرّاد نوارزُلو⁴:

تُصنع في الغالب من الكتان، وتُلبس فوق "المحرمة"، لتشكل ما يُعرف محليًا "بالتحزينة"، وهي طريقة لفّ غطاء الرأس وتثبيتته بإحكام فوق الجبين، مع ترك الطرفين يتدليان على الكتفين أو على الصدر في هيئة وقورة.

ومن سماتها البارزة أنها لا تقتصر على شكل ثابت، بل تُرتدى أحيانًا بطريقة تُعرف "بالتلثيمة"، فتُلفّ لفتين محكمتين تحت الذقن، لتُغطي الأذنين وجزءًا من الوجه، ما يمنحها بُعدًا وظيفيًا للحماية من العوامل المناخية، كالرياح أو البرد، وتُسهل في الوقت ذاته شينا من الحشمة والجمال البسيط على إطلالة المرأة. تتنوع استعمالات فرّاد نوارزُلو بين الحياة اليومية، والمناسبات، مع مراعاة اختلاف نوع القماش ودرجة زخرفته حسب مناسبة الاستعمال بما يتلاءم مع الوضع الاجتماعي للمرأة، إذ تتنوع أقمشتها بين الكتان الخشن والبسيط للأوساط المتوسطة، والحرير أو الصوف الدقيق للنساء الميسورات، كما يتراوح لونها عادة بين الأحمر والأسود. وهي شاهد حي على خصوصية الهوية الثقافية للمنطقة، إذ لا يكتمل زي المرأة التقليدية بدونها.

⁴ كلمة "زُلو" لدى المهاذبة تعني تعني اللوز.

3.1.2- الغُجَارُ أو الطَّرْفُ:

هو قطعة من الصوف تتفاوت في طولها، تتراوح عادةً بين المتر إلى المترين، أما عرضها فلا يتجاوز في الغالب المتر الواحد، ونادرًا ما تُصنع بقياسات أكبر. وتتميز هذه القطعة ببنيها النسيجية المتنوعة، إذ تكون غالبًا على هيئة أشربة صوفية وأخرى حريرية، تُنسج بشكل متناسق لتضفي عليها مظهرًا أنيقًا دون المساس بوظيفتها الأساسية.

ينقسم "الطرف" إلى نوعين: أحدهما يُنسج يدويًا في المنازل أو لدى الحرفيين المحليين، وغالبًا ما يكون أكثر عراقة وخصوصية في زخرفته، وثانيهما يُشترى جاهزًا من الأسواق، ويكون عادةً مخصصًا للاستخدام اليومي أو للنساء ذوات الدخل المحدود، إذ يتميز ببساطة تصاميمه التي تجعله أقل كلفة. كما تتوفر منه أصناف فاخرة تُزين أحيانًا بخيوط معدنية لامعة أو بزخارف تقليدية دقيقة، ما يجعلها مخصصة للمناسبات أو الأعراس.

وظيفيةً، يُوضع "العجار" فوق الرأس مباشرة، فيُغطّي الشعر ويتدلّى على الكتفين أو يُلف حول الرقبة أو حتى يُسدل على نصف الوجه حسب الحاجة والمناسبة. ولهذا الشكل من اللباس بُعد رمزي في بعض المناطق، حيث يعكس الوقار والحشمة، كما يُظهر الانتماء الجهوي من خلال طريقة لفّه أو زخرفته، خاصة في المناطق الريفية والقبائلية.

ويُعدّ "الطرف" أيضًا وسيلة لحماية الرأس والوجه من التقلبات المناخية، مثل الرياح القوية أو أشعة الشمس الحارقة، إلى جانب كونه تعبيرًا عن الذوق الشخصي والهوية الثقافية. فكل امرأة تختار لون "العجار" ونمط نسيجه بما يتماشى مع عمرها ومكانتها الاجتماعية والمناسبة الذي ترتديه فيه، ما يمنح هذه القطعة التقليدية وظائف جمالية ورمزية واجتماعية متعددة الأبعاد. وفيما يلي مثال عن "الطرف"

وَتَلْبَسُ غِرَامِي كَيْفَ مَا لِبْسَاتُكَ

يَا طَرْفُ سَلِّمِي عَلَى مَوْلَاتِكَ⁵

وعن العُجَار

ثُمَّ نِيْتُ نَلْقَى قُدَاهُمْ⁶ سَبْلَهُ⁷

عُجَارَاتُ بِالنَّوَّازِ شَبَّوْا قَبْلَهُ

4.1.2- المُنَشَفُ:

من أبرز مكونات اللباس التقليدي الخاص بالعروسة، يحمل بلونه البرتقالي رمزية احتفالية واضحة تميزه عن باقي الأقمشة التي تُرتدى في المناسبات العادية. يبلغ طوله حوالي المترين وعرضه قرابة

⁵ مرتدية "الطرف"

⁶ لديهم

⁷ سببا أو سببلا

المتر، يُصنع غالبًا ما من أقمشة فاخرة كالحرير أو الصتّان، ويكون مزخرفا بخيوط ذهبية أو تطريزات دقيقة عند الأطراف مما يضفي عليه بريقًا خاصًا يعكس أجواء الفرح والاحتفال.

يوضع فوق الرأس بطريقة مميزة، قد تتفاوت حسب العادات المحلية، تُلفّ أو تُثبت بعناية لتُضفي طابعًا ملكيًا على إطلالة العروسة. ويُعتبر اللون البرتقالي في هذا السياق لونًا نابضًا بالحياة والدفء، يرمز في بعض الثقافات إلى السعادة والخصوبة والبدايات الجديدة، كل ما سبق، يجعل المنشف قطعة فنية بامتياز، لا تكتمل زينة العروسة بدونها.

صورة عدد01: المنشفُ



5.1.2- الغصّابة:

هي عنصر مهم من عناصر زينة الرأس لدى النساء في عدد من المناطق التونسية، ومنها قبيلة المهادبة بمنطقة المزونة. وهي قطعة مستطيلة الشكل، تُنسج عادةً من الصوف الخالص، بطول يقارب المترين وعرض لا يتجاوز 20سم، لتأخذ بذلك هيئة رفيعة وطويلة تُسهل عملية طيها وتعصيمها فوق الرأس.

تُطوى هذه القطعة بطريقة خاصة وفق تقاليد متوارثة، حيث يتم طيها أولاً بشكل مثلث، ثم تُطوى على نفسها عدّة مرّات إلى أن تتحول إلى ما يشبه الشريط العريض والمتمين. وتُستخدم هذه الغصّابة لتثبيت باقي مكونات اللباس مثل البَخْنُوفُ أو الطرف أو العجار، فتُعصب بإحكام فوقها بطريقة فنية، وتُلفّ عادةً من الخلف إلى الأمام، إذ تُربط عقدة واضحة فوق الجبين، تُشكّل علامة تزيينية مميزة.

وتتميّز هذه القطعة بكونها تُصبغ غالباً باللون الأسود الداكن، سواء لأسباب وظيفية (كإخفاء آثار الزيوت التي كانت تُدهن بها النساء شعورهن)، أو رمزية، حيث يدلّ اللون الأسود في بعض السياقات على الوقار والجدية والاحتشام. وقد تُزيّن أحياناً بخيوط دقيقة أو تطريز يدوي بسيط لإضفاء لمسة جمالية خاصة، خصوصاً في المناسبات والاحتفالات الكبرى كالزفاف أو الأعياد.

من الناحية الاجتماعية، تُعتبر هذه القطعة بمثابة علامة نضج وبلوغ، حيث تبدأ الفتاة بارتدائها بعد سن معين يُقترن بدخولها مرحلة النضج الاجتماعي. كما يُنظر إليها كرمز للانتماء العائلي أو القبلي، لأن طريقة لبسها أو نوع قماشها قد يختلف من منطقة إلى أخرى، بل وحتى من عائلة إلى أخرى ضمن نفس القبيلة، مما يجعلها عنصراً مميزاً في الذاكرة الثقافية الجماعية.

6.1.2- البَخْنُوفُ:

يُعرف أيضاً بالشال وهو من أبرز عناصر اللباس التقليدي النسائي، خاصة في المناطق الريفية والبدوية، ويتميز بوظيفة عملية وجمالية في آنٍ واحد. يُنسج عادةً من الصوف الخالص، أو من خليط من الصوف والحرير، ما يمنحه ملمساً دافئاً ونعومة محبة، تناسب الاستخدام الشتوي الذي صُمم من أجله. يتراوح طول البَخْنُوف بين متر ومترين، فيما لا يتجاوز عرضه عادةً المتر الواحد، وهي قياسات تتيح سهولة ارتدائه وتنسيقه مع باقي مكونات الزي التقليدي. (بالكلحة، 2003، صفحة 326).

يوضع البَخْنُوف مباشرة فوق أغطية الرأس الأخرى، بحيث يتدلى برشاقة على الكتفين، ويغطي جزءاً من الظهر وأعلى الصدر، محافظاً بذلك على خصوصية المرأة ودفعها في آنٍ واحد. وفي بعض المناسبات، يُلف بطريقة معينة لتغطية الجبين أو لتثبيتته فوق الرأس بطريقة أنيقة.

تتعدد أنواع البَخْنُوف بحسب المواد المستعملة فيه؛ فمنه ما يُنسج يدوياً من أشرطة صوفية وأخرى حريرية، ومنه ما يُباع جاهزاً في الأسواق، ويُصنع من الحرير أو الكتان، بألوان مختلفة وأحياناً بنقوش بسيطة تضفي عليه لمسة جمالية. ويُستعمل البَخْنُوف عادةً في فصل الشتاء، لما يوفره من دفء، غير أنه قد يُرتدى أيضاً في المناسبات التقليدية، حيث يكون جزءاً من اللباس الرسمي أو الاحتفالي للمرأة.

7.1.2- الزُّغَابِي:

مجموعة الخيوط الملونة التي تُصفر بها شعر المرأة تُعرف في بعض المناطق التقليدية بأسماء مختلفة، وهي من الزينة الاحتفالية التي تُرافق مظاهر التجميل والاحتفال، خصوصاً في الأعراس والمناسبات الكبرى. تُختار هذه الخيوط بعناية، وغالباً ما تكون مصنوعة من الحرير أو القطن الملون، بألوان زاهية كالأحمر والأخضر والأزرق والأصفر لتعكس روح البهجة والفرح التي تميز هذه المناسبات.

تُصفر هذه الخيوط مع شعر المرأة على شكل جدائل رفيعة تتدلى على جانبي الوجه أو تُدمج داخل الضفائر الطويلة، ما يمنح الشعر مظهرًا غنيًا وزاهيًا. وتنتهي كل خيط بنوارة صغيرة، وهي عبارة عن زينة دائرية أو وردة قماشية، قد تكون مطرزة أو مرصعة بخرز أو ترتر، تضفي لمسة نهائية جمالية وتُبرز الاعتناء بالتفاصيل

صورة عدد02: الزُّغَابِي



2.2- لباس البدن

1.2.2- السورية:

تشبه إلى حد كبير القميص، هي من القطع الأساسية في ملابس المرأة التقليدية، وتعتبر عنصراً وظيفياً وجمالياً في آن واحد. تُصنع عادة من أقمشة خفيفة ورقيقة تسمح بحرية الحركة وتوفير راحة في اللباس، خصوصاً في المناخ الحار، ومن أبرز هذه الأقمشة: الكتان، الذي يُعرف بقدرته على امتصاص العرق ومتانته، والمالطي، وهو نوع من القطن الناعم، إضافة إلى أقمشة أخرى حسب القدرة المادية للمرأة والذوق العام في القبيلة أو المنطقة.

تُخاط السورية بقصة فضفاضة واسعة، تنسدل لتغطي الجسد إلى ما دون الركبتين، ما يضفي على حاملة هذا اللباس مظهرًا محتشمًا وأنيقًا في الوقت نفسه. أما الأكمام، فهي طويلة وواسعة، قد تصل إلى الرسغ أو تتجاوزه، وتكون في بعض الأحيان مزينة بتطريزات بسيطة أو حواشي دقيقة تعكس مهارة الخياطة وذوق لابسته.

يُعدّ اللون الأبيض الأكثر انتشاراً في القمصان التقليدية، لدلالته على النقاء والطهارة، ولسهولة استخدامه اليومي، غير أن القمصان تُوجد أيضاً بألوان مختلفة كالأزرق الفاتح، الزهري، أو السكّري، خاصة في المناسبات.

في قبيلة المهادبة بمنطقة المزونة، كانت السوربة ترمز إلى الاحتشام والبساطة. وكان يُنظر إلى نظافتها وحُسن خياطتها وتناسقها مع باقي مكونات اللباس كدليل على حسن التدبير والاعتناء بالمظهر. كما أن بعض السوربات كانت تُطرز ديوياً بخيوط حريرية على الياقة والأكمام، مما يضيف إليها طابعاً فنياً مميزاً يعكس الذوق المحلي والخصوصية الثقافية للمنطقة.

2.2.2- الملحفة:

الملحفة هي قطعة قماش مستطيلة الشكل تُعدّ من أبرز وأهم مكونات اللباس التقليدي للمرأة في قبيلة المهادبة بمنطقة المزونة. كما تنتشر في كامل الجنوب التونسي ووسطه، وتُعتبر علامة تدل على الأنثوية البدوية. ليست الملحفة مجرد لباس يُرتدى، بل هي تعبير عن الانتماء الاجتماعي والثقافي، ورمزاً تعكس الذوق الشعبي والعادات المتوارثة جيلاً بعد جيل.

تتراوح أقمشة الملحفة بين الصوف والكتان والقطن، بينما تُخصّص أنواع منها للمناسبات وتصنع من أقمشة فاخرة كالحرير أو الكريب المغصّن. وتمتاز الملحفة بتعدد ألوانها. (A. Villacrose, 1875, p 287)، إذ تُعتمد الألوان الداكنة كالأسود والأزرق والأحمر في الحياة اليومية، بينما تُستعمل الألوان الزاهية كالأبيض، الورد، الأخضر، والأصفر في المناسبات، ولكل لون رمزية محددة ترتبط بالحالة الاجتماعية والسنّ أو الظرف الذي تُلبس فيه.

ترتدي الفتاة الملحفة عند بلوغها سنّ الرشد، وتلقّا بطريقة تقليدية دقيقة تضمن تغطية الجسد بأكمله، مما يُجسّد قيم الحياء والوقار في الثقافة المحلية. وتُثبت عادة بقطعة معدنية من الذهب أو الفضة تُعرف "بالخلال"، ما يمنحها بعداً زخرفياً يُبرز الذوق اليدوي المحلي. تتنوع تسميات الملحفة في باقي جهات البلاد التونسية، حيث تُعرف "بالمليّة" أو "التخليلة"، وتختلف من منطقة إلى أخرى في المقاسات ونوع القماش والألوان وطريقة اللبس وهو ما يعكس ثراء اللباس التقليدي التونسي وتنوعه من منطقة لأخرى. وتمثّل الملحفة في نهاية المطاف ليس عنصراً من عناصر اللباس اليومي أو المناسباتي فحسب، بل رمزا أنثوياً ذا حمولة ثقافية قوية، يوثّق الذاكرة الجماعية للنساء في البوادي التونسية، وخصوصاً في قبيلة المهادبة، حيث تظلّ إلى اليوم علامة من علامات الأصالة والهوية في وجه الحداثة واللباس العصري.

وفيما يلي بيت شعري من أغاني المهادبة يعبر عن الملحفة:

ربح لتقوى الملحفة علّقها وعري عضلها ووشمتها ما أزرقها

3.2.2- الحُولي أو الخُرّام:

مستطيل الشكل يبلغ طوله حوالي الأربعة أمتار، فيما يتراوح عرضه في العادة حول المتر ونصف، مما يجعله ملائماً لاستعماله إزاراً يُلفّ حول الجسد بطريقة مشابهة لارتداء الملحفة.

تتنوع الأقمشة المستعملة في نسج الحولي، إذ يُصنع في أبسط أشكاله من أقمشة كالصبرار أو الصّتان، وهي أقمشة تقليدية محلية تُعرف بصلابتها وملمسها المميز. لكن الحولي الأكثر تميّزاً وشهرة هو "الحرام الجريدي"⁸ و"حولي بوسيقة"⁹، يوجد نوع آخر من الحولي يُنسج من الصوف الأبيض الطبيعي، ثم يُصبغ لاحقاً بألوان مختلفة بحسب المناسبة أو الذوق، ومن أبرز الألوان التي تُستعمل الأحمر والأصفر والأسود الذي يُعدّ اللون الأكثر شيوعاً وتداولاً، لما يحمله من رمزية مرتبطة بالاحتشام والرصانة في الثقافة البدوية. ويُرتدى الحولي بنفس طريقة ارتداء الملحفة، حيث يُلفّ على الجسد بشكل كامل ويُثبت بطريقة محكمة، وغالباً في المناسبات الاحتفالية، أو في الحياة اليومية، حسب نوع القماش والزينة

وفيما يلي مثال عن "الحولي" من تراث المهادبة

مشري بالفين وميئة

يا لبّاس الحوليا

4.2.2- الحزام:

ينسج من الصوف، وهو من العناصر الضرورية في شدّ اللباس. وتنقسم الأحزمة إلى صنفين، أحزمة منسوجة وأخرى غير منسوجة. كما يحتوي كل حزام على حلقة تسمى "عين" بأحد طرفيه تمكن من شدّه إلى خاصرة المرأة بعد أن تديره دورتين في مستوى أسفل البطن. وتجعل طرفه الثاني يتدلى من إحدى الجهتين، وعادة من الجهة اليسرى أي من الجهة التي يلتقي فيها طرفا الملحفة أو الحولي دون التحامهما. ويسمى الجزء المتدلى من الحزام "شواطة" (Dozy, 1845, pp. 71-73).¹⁰ ويعتبر الأغلبية أن الحزام وظيفة صحّية، حيث يعتقد أنه يجنب المرأة برد الشتاء وأمراض الكلى لأنه يمر فوقهما. ويساعد على الحفاظ منطقة الوسط لأنه يسند العمود الفقري فيبقى سليماً ومستقيماً (حنا، 1984، صفحة 126).

⁸ يُنسب إلى منطقة الجريد في الجنوب الغربي التونسي. يُشتهر هذا النوع بجماله وأناقته، حيث يتميز بلونه الأحمر القاني، وتتوزّع على أطرافه خطوط سوداء مزدوجة (خطان في كل طرف) تضفي عليه طابعاً زخرفياً فنياً وجمالاً فريداً.

⁹ حولي تشتهر بهي مدينة قابس التي تقع في الجنوب التونسي؟

¹⁰ مقابلة مع السيدة زينة الكثيري، 80 سنة، ومبروكة لبيض، 90 سنة، المزونة في 14 أبريل 2016.

الحزام هو مجموعة من الخيوط يمكن أن تكون من مواد مختلفة على غرار الصوف، أو القطن، أو الحرير، أو غيرها. والمعزم والمحمزة والحزام: اسم ما حزم به والجمع حزم، واحترم وتحزمت بمعنى، وذلك إذا شد وسطه بحبل.

صورة عدد03: الحزام



5.2.2- الرّي:

يُعد هذا الحزام التقليدي أحد الرموز البارزة التي تُعبّر عن الحالة الاجتماعية والعاطفية للمرأة، خاصة في فترات الحزن والفقد. يُضَفّر الحزام في شكل خيط طويل واحد، وتُستخدم في صناعته خامات طبيعية كالصوف أو شعر الماعز أو حتى وبر الإبل (إبراهيم، 2002، صفحة 423)، وهي مواد تتوفر بكثرة في البيئة البدوية، وتُعرف بمتانتها ومرونتها، ما يجعل الحزام متيناً وسهل اللفّ حول الخصر.

يتميّز هذا الحزام بألوانه القاتمة، وعادة ما يكون أسود، وهو ما يتماشى مع رمزية الحزن والحداد في الثقافة المحلية. وتلجأ المرأة إلى ارتدائه خلال فترات الحزن، ليكون علامة خارجية واضحة تكشف الحالة النفسية التي تمرّ بها.

وغالباً ما يُلفّ هذا الحزام بطريقة معينة تُراعى فيها بعض التقاليد، حيث يُربط حول الخصر بإحكام فوق الملحفة أو بقية الملابس، وقد يصاحبه تغيّر في بقية الملابس، كلبس أقمشة داكنة، أو الاستغناء عن الخُلّي والزينة، انسجماً مع مقتضيات المرحلة. يسمّى لدى بعض القبائل المجاورة "بالرّيّم".

3.2- لباس القدم

1.3.2- البلّغة:

البلغة نوع من أنواع لباس القدم التقليدي النسائي التي كانت وما تزال تُشكّل جزءاً أساسياً من اللباس اليومي والاحتفالي للمرأة، وخاصة في المجتمعات الريفية والبدوية مثل قبيلة المهاذبة ومنطقة المزونة.

تُصنع البلغة عادةً من الجلد الطبيعي، وتتميّز بتصميم بسيط في ظاهره، لكنه يحمل دلالات رمزية وجمالية عميقة. وتُغطّي البلغة النصف الأمامي من القدم، فيما تبقى مؤخرة القدم مكشوفة، ما يمنحها ميزة الراحة والتهوئة، خصوصاً في المناخات الحارة. وتُرتدى بسهولة دون الحاجة إلى أربطة أو سحّابات، وهو ما يجعلها مناسبة للاستعمال اليومي وفي المناسبات الرسمية في الآن نفسه. رغم بساطة شكلها، إلا أن البلغة النسائية تختلف عن نظيرتها الرجالية من حيث الزينة والتفاصيل. فالمرأة غالباً ما تختار بلغة مزينة "بنّوآرات"¹¹ من خيوط الحرير الملونة، تُخاط بعناية في الجزء العلوي من الحذاء، فتمنحها طابعاً أنثوياً ناعماً يعبر عن الذوق المحلي والحرفية اليدوية العالية. وتُصنع بعض البلاغي أيضاً من الجلد الملون، كالأحمر الداكن، النبيذي، أو الأزرق، لتتناسب مع ألوان الملحفة وبقية مكونات الزي التقليدي.

تحضر البلغة بقوة في المناسبات مثل الأعراس، الأعياد، والاحتفالات القبلية، حيث ترتديها النساء مع أزيائهن التقليدية الكاملة، فتكتمل إطلالتهن وتمنحهن لمسة أصالة وأناقة في آنٍ واحد. إلى جانب بعدها الجمالي، تحمل البلغة دلالة اجتماعية، فهي تُعبّر عن الانتماء الطبقي أحياناً، حيث تُستخدم أنواع فاخرة منها في المناسبات الخاصة، بينما تلبس الأنواع البسيطة في الحياة اليومية. كما تُعتبر علامة من علامات النضج، فغالباً ما تهدي للفتيات في مناسبات البلوغ أو الخطبة، تأكيداً على دخولهن مرحلة جديدة من الحياة.

2.3.2- طربافة الحلفاء:

سُمّيت بهذا الاسم لأنها تُصنع يدوياً من نبتة الحلفاء¹². تتميز طربافة الحلفاء بكونها منتجاً بيئياً بامتياز، إذ لا تعتمد في صناعتها على أي مواد صناعية أو كيميائية، بل تُجدل سيقان الحلفاء بعد أن تُجفّف وتُلين في الماء، لتُشكّل منها لفائف دائرية تُرصّ بعضها فوق بعض بشكل متماسك. والنتيجة قبعة دائرية الشكل، غالباً ما تكون خفيفة الوزن ومريحة للبس، تُستعمل أساساً غطاءً للرأس في الفترات الحارة، لحماية الوجه والعينين من أشعة الشمس الحارقة.

ولأن نبتة الحلفاء تنمو طبيعياً دون الحاجة إلى سقي أو عناية زراعية، فإن طربافة الحلفاء تُعدّ رمزاً للتكيف مع المحيط البيئي، ومؤشراً على الحكمة البدوية والمهارات الحرفية لدى السكان المحليين، الذين استطاعوا تحويل نبات بري إلى غرض يومي يحمل في طياته نفعاً ووظيفة جمالية وثقافية.

¹¹ نوع من الزينة عبي شكل وردة أو زهرة.

¹² وهي نبتة طبيعية تنمو بكثرة في المرتفعات الجافة وشبه الجافة من الوسط التونسي، وتُعدّ من الموارد النباتية المحلية التي استُغلّت منذ قرون في مختلف الصناعات التقليدية

وغالبًا ما يرتبط ارتداء هذه الطرباغة بالمجال الفلاحي والرعوي، فهي ترافق الفلاح أو الراعي في تنقلاته اليومية، ما يجعلها أيضًا رمزًا للارتباط بالأرض والهوية الريفية. كما كانت تُزَيَّن أحيانًا بخيوط ملونة أو شرائط بسيطة، لتضفي عليها لمسة شخصية فريدة.

صورة عدد 04: طرباغة الحلفاء



3.3.2- طرباغة القاعة:

هي نوع تقليدي من الأحذية أو الصنادل البدوية الأصيلة، تصنع يدويًا من مادة تُعرف محليًا باسم "القاعة"، وهي جلد البعير بعد معالجته. يُعدّ هذا النوع من الأحذية من أبرز ما يميز اللباس التقليدي في الجنوب التونسي، حيث تنتشر تربية الإبل وتنوع الصناعات الجلدية المحلية.

تصنّع طرباغة القاعة بشكل يدوي متوارث، تبدأ باختيار جلد البعير ذي الجودة العالية، ثم يُدبغ الجلد بطريقة طبيعية تعتمد على مواد نباتية، تجعله أكثر صلابة ومتانة. يُقطع الجلد بدقة ويُشكّل وفق مقاسات القدم، ثم يُخاط يدويًا باستخدام خيوط قوية غالبًا ما تكون من ألياف نباتية أو من أوتار الحيوانات، ما يمنح الصندل متانة وقدرة على التحمل.

تتميّز طرباغة القاعة بكونها صندل مفتوح من الأمام والخلف، ما يتيح تهوية القدم في بيئة حارة، لكنها في الوقت ذاته تحمي أسفل القدم من حرارة الأرض القاسية والحصى والأشواك وذلك بفضل سماكة النعل المصنوع من جلد القاعة. أحيانًا يُدعّم النعل بطبقات إضافية من الجلد أو يُزَيَّن بخطوط محفورة أو نقوش بدوية رمزية.

3- حلي المرأة عند "المهاذبة"

1.3- الأخراس:

تُعد من أبرز الحلي التقليدية التي تزيّن بها المرأة البدوية أذنها، وهي قطع ذات دلالة جمالية ورمزية عميقة، تعكس الذوق المحلي والوضع الاقتصادي للمرأة أو عائلتها. تتكوّن الأخراس عادة من زوجين متطابقين، يُعلّق كل واحد منهما في أذن، وهي من الحلي الأساسية التي ترافق المرأة منذ سن البلوغ وحتى الشيخوخة، وتُقدّم أحياناً كجزء من جهاز العروس في المناسبات الكبرى. تتنوّع تصاميم الأخراس بتنوّع المواد والتقنيات المستعملة، ويمكن تصنيفها لدى المهاذبة إلى نوعين رئيسيين:

* خرصان بالطلبة:

يُصاغ غالباً من الفضة، لما لها من قيمة رمزية مرتبطة بالنقاء والأمان، يتكوّن كل خرص من:

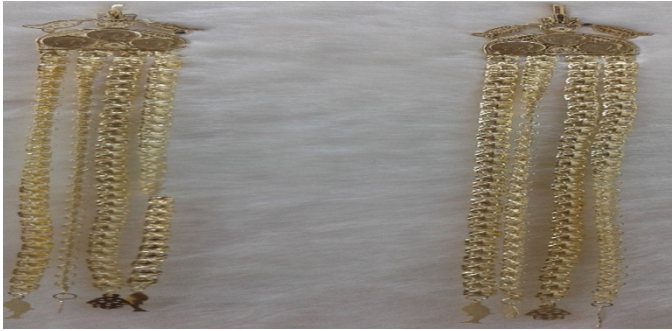
- سلك معدني نصف دائري الشكل، يمر عبر ثقب الأذن.
- طلبة أو صفيحة معدنية نصف دائرية الشكل تُثبت في منتصف السلك أو في نهايته، وتُزيّن عادةً بنقوش بارزة وزخارف هندسية أو نباتية، تُحفر يدوياً أو تُطبع بتقنيات تقليدية. هذا الشكل البسيط والجميل يمنح الأذن تألقاً خاصاً، وكان يُعتبر علامة من علامات الأنوثة والحياء في المجتمعات البدوية.
- * خرصان بالكُرُومة: هذا النوع أكثر فخامة، ويُرتدى عادةً في المناسبات الكبرى مثل حفلات الزواج أو الأعياد الدينية. يُصاغ في الغالب من الذهب، ويتميّز بـ:
- سلك نصف دائري يمر عبر ثقب الأذن.
- في نهاية السلك يوجد جزء أكثر عرضاً يحتوي على زخرفة دقيقة تشبه الأسنان أو الأشواك الصغيرة، وهي التي تُعرف محلياً "بالكُرُومة"، وتُضفي طابعاً زخرفياً لافتاً. تُشير الأخراس من هذا النوع إلى الثراء والمكانة الاجتماعية للعائلة.

2.3- مُراقِع أو مُشَامِير:

مُراقِع أو مُشَامِير، هما من الزينة التقليدية ذات الطابع المميز التي تُثبت على الرأس، تحديداً على جانبي العصابة أو غطاء الرأس، وتُعدّان من الإكسسوارات المهمة في اللباس البدوي النسائي، خاصة في المناسبات الاحتفالية الكبرى مثل الأعراس ويتكوّن من أربع سلاسل فضية متوازنة، متدلّية الرأس، يصل طول كل سلسلة منها إلى حوالي 20 سنتيمتراً. في أسفل كل سلسلة، تتدلّى خمسة صغيرة الحجم (قطع زخرفية معدنية صغيرة غالباً ما تكون دائرية أو على شكل نجومات)، تحدث رنيناً خفيفاً عند الحركة، وتُضفي حيوية وأناقة على المظهر العام للمرأة.

يُثبت الزوج في العصابة أحدهما في الجهة اليمنى والآخر في الجهة اليسرى من الرأس، إذ تتدلى السلاسل إلى جانبي الوجه أو الرقبة. وغالبًا ما تكون هذه الحلي مصنوعة من الفضة الخالصة، مما يضيف عليها قيمة فنية. وتمثّل المُرَافَع أو المُشَامِيز رمز الأنوثة والهاء في الثقافة البدوية وجزء لا يتجزأ من حلي العروس، ويُشار إلى أن تسمية "المُشَامِيز" ترمز أيضًا إلى دقة الزينة وتعدد تفاصيلها الصغيرة، في حين أن "المُرَافَع" تحيل إلى الجانب المُتدلي منها وكأنها ترافق حركة المرأة وتزيد من جاذبية إطلالتها.

صورة عدد 05: مُرَافَع أو مُشَامِيز



3.3- التِكْلِيلَة:

تتكوّن "التِكْلِيلَة" من قطعتين ذهبيتين كبيرتي الحجم، لهما شكل نصف دائري أو شبه هلال، بتصميم متوازن يعكس التقاليد العريقة في صياغة الذهب. تُلبس في الأذنين، ولكنها لا تُرَگَب مباشرة فقط كخرص، بل تُلبس صحبة الأخراس، مما يمنح الأذنين منظرًا ثريًا ومتناغمًا. ونظرًا لثقل وزنهما مقارنة بالحلي الصغيرة الأخرى، يتم شدّ القطعتين بخيط رفيع يمرّ فوق الرأس، يربط بين القطعتين بطريقة ذكية لتوزيع الوزن وتثبيت التِكْلِيلَة في مكانها، دون إيذاء الأذن أو التسبّب في إجهادها. وغالبًا ما تُرصّع التِكْلِيلَة بنقوش دقيقة وزخارف هندسية.

وتُبرز التِكْلِيلَة مهارة الحرفي التقليدي التونسي، إذ غالبًا ما تُصنع يدويًا بدقّة عالية في الأسواق القديمة أو عند الصاغة المحليين المتخصصين في الحرف التراثية.

صورة عدد 06: التِكْلِيلَة



4.3- الفلادة:

تُعد من أبرز الحلي التقليدية النسائية وهي ليست مجرد قلادة تُزين بها المرأة عنقها، بل هي تحفة فنية تحمل في طياتها رموزاً وقيماً متوارثة. تتكوّن القلادة من عدة قطع معدنية صغيرة، يتراوح عددها بين ستة إلى أحد عشر قطعة، كل واحدة منها تُعرف باسم "خمسة"، وهي عبارة عن تعويذة على شكل يد تُعرف شعبياً أيضاً باسم "مشطة". تُصاغ هذه القطع من الذهب أو من الفضة. والخمسة رمز تقليدي يُستخدم لطرد العين والحسد، وتحمل دلالات روحية وحماية رمزية، ما يجعل من القلادة حلياً وجزءاً من المعتقدات الشعبية في آن واحد. تُربط كل قطعة "خمسة" بخيط قوي يمر من أطرافها، وتفصل بينها مجموعة من الميَال¹³.

تُعتبر القلادة جزءاً أساسياً من جهاز العروس، وتُلبس خاصة في حفلات الزفاف كما أن ارتدائها يُعبّر عن الثراء أو المكانة الاجتماعية، وقد يتم التفاخر بها خلال الأعراس نظراً لجمالها وقيمتها المادية.

صورة عدد 07: الفلادة



¹³ وهي كريات صغيرة من البلاستيك أو الخرز أو الأحجار شبه الكريمة.

5.3- الخَنَافُ:

يُعد من القطع المميزة التي لا تقل أهمية عن "القلادة" و"الأخراس". يتكوّن الخَنَافُ من مجموعة من القطع الدائرية الشكل تُعرف باسم "المحبوب". تُصاغ هذه القطع عادةً من الذهب أو الفضة حسب المناسبة والمقدرة الاقتصادية للمرأة. عدد "المحبوب" في الخَنَافُ لا يتجاوز في الغالب سبع قطع، تُرتّب بشكل متناسق لتُشكّل شريطاً زخرفياً يشد إلى عنق المرأة. كما أن كل قطعة "محبوب" تكون متصلة بقطعة صغيرة على شكل خمسة (مشطة). تُستخدم كعنصر رمزي وجمالي في الوقت نفسه، إذ ترمز إلى الحماية من العين والحسد في الثقافة الشعبية. يُرتدى الخَنَافُ عادة في المناسبات الاحتفالية مثل الأعراس وحفلات الختان. ولا يزال الخَنَافُ يحتفظ بمكانته في بعض المناطق الريفية، ويُنظر إليه كقطعة تراثية نفيسة تُورث من الأم إلى ابنتها.

صورة عدد08: الخَنَافُ



6.3- الريحانة:

هي واحدة من أجمل وأبرز الخُلَيّ التقليدية التي تزيّن بها المرأة، وهي عبارة عن قلادة على شكل سلسلة معدنية تتكوّن من حلقات متصلة، عادةً ما تكون عريضة وبارزة، ما يمنحها مظهرًا قويًا وملفتًا. وتحمل هذه القلادة في وسطها أو بين حلقاتها قطعة مزخرفة على شكل "مشطة" أو "خمس" متوسطة أو كبيرة الحجم، وهي رمز منتشر في الخُلَيّ التقليدي التونسي، يُعتقد أنها تحمي من الحسد والعين الشريرة. يمكن أن تكون المشطات المعلقة في الريحانة مصنوعة من الذهب أو الفضة، بحسب القدرة المادية للمرأة، وغالبًا ما تحتوي على نقوش وزخارف تقليدية دقيقة. وفي بعض الأحيان، تُستخدم الريحانة كقلادة وحيدة، وتُبرز في مقدمة اللباس لتكون القطعة المركزية في الزينة، خاصة إذا كانت ثقيلة ومزخرفة.

صورة عدد 09: الريحانة



7.3- خُلال:

الخلال هو مشبك معدني يُستخدم لتثبيت الملحفة في مستوى النهدين، وتحديدًا في الجزء الأمامي من الجسد من خلال توحيد طرفي الثوب الأمامي والخلفي، الذي يغطي الكتفين والظهر، بحيث توضع كل واحدة أسفل الكتفين أعلى الصدر، (Pommerol, 1898, pp. 120-123) ويتكوّن عادة من ثلاثة أجزاء أساسية:

- الإبزيم: وهو الجزء الأساسي الذي يُغلق ويثبت اللباس بإحكام.
 - الحلقة: تُربط بالإبزيم وتُتيح سهولة الفتح والغلق.
 - الشهدة: قطعة مزخرفة غالبًا ما تحمل نقوشًا دقيقة، تضيف جانبًا جماليًا وزخرفيًا للمشبك.
- يُصنع الخلال من الفضة أو الذهب، وذلك حسب المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمرأة. وقد توجد منه نسخ أبسط تُستعمل خلال الأنشطة اليومية للمرأة البدوية، وأخرى أثمن وأجمل تُخصص للمناسبات الكبرى كالأعراس. ويُستخدم الخلال لتثبيت الملحفة بشكل أنيق وآمن، بحيث تبقى الملحفة مشدودة من أعلى دون أن تعيق حركة المرأة ويُبرز جمال اللباس وهيبته. ويُعتبر من القطع الأساسية لحلي العروس.

صورة عدد 10: الخُلال



8.3- الجِجْر:

يتكوّن الجِجْر من سلسلة مصنوعة من الفضة أو الذهب، وتتألف السلسلة من مجموعة من الحلقات المعدنية المتراصة، التي تمنح القطعة مرونة وانسيابية، وتُضفي عليها طابعًا زخرفيًا مميزًا. يبلغ طوله حوالي 70 سنتيمترًا، وهو قياس مدروس يسمح له أن يمتد على شكل نصف دائري بين فرديتي الخلال المثبتتين على النهدين، ويصل بأفضله إلى مستوى الحزام. كما يُعلّق بأسفل الجِجْر عادة خمسة صغيرة الحجم تُعرف "بالمشطّة". وللجِجْر وظيفة جمالية، حيث يُضفي على الجزء العلوي من لباس المرأة توازنًا بصريًا بين الأعلى والأسفل أي بين الخلال والحزام. يُرتدى الجِجْر عادةً في المناسبات الكبرى مثل حفلات الزواج أو الأعياد.

صورة عدد 11: جِجْر معلق بالخلال



9.3- الخاتم:

الخاتم مستعمل ومشاع عند أغلب الثقافات منذ القدم، يُصنع الخاتم عادةً من الذهب أو الفضة، بحسب الإمكانيات المادية للمرأة أو سياق المناسبة التي يُرتدى فيها. تكون بعض الخواتم بسيطة وناعمة، بينما تكون أخرى مزخرفة بنقوش هندسية، وأحياناً مرصعة بأحجار كريمة، أو نصف كريمة، أو خرز أو قطع زجاجية ملونة (Leroudx, 1906, p. 84). كما أن المرأة غالباً لا تكتفي بخاتم واحد، بل قد تضع عدة خواتم في اليد الواحدة، توزّعها على مختلف أصابعها، خاصة في المناسبات والاحتفالات. وقد تُرتدى الخواتم أيضاً بشكل متقابل بين اليد اليمنى واليسرى، لإبراز التناسق والنزق الشخصي، يُعبّر الخاتم عن الأنوثة وفي بعض السياقات يرمز إلى الوضع الاجتماعي للمرأة، إذ يدلنا على معرفة ما إن كانت المرأة متزوجة، أو مخطوبة. وقد يُهدى في المناسبات كالخطوبة أو الزواج أو حتى في مناسبات الولادة كعربون محبة وتهنئة وأحياناً، يحمل الخاتم طابعاً روحانياً أو وقائياً، إذ تنقش عليه بعض الرموز أو العبارات للحماية من العين والحسد. وهو عنصر دائم الحضور في اللباس اليومي باختلاف أشكاله من منطقة لأخرى.

10.3- المقياس:

هو نوع من الحلي أو المجوهرات التقليدية التي يتم ارتداؤه حول المعصم. عادةً ما تكون هذه الحلقات مصنوعة من الذهب أو الفضة، وتتميز بالمتانة والتصميم الدائري البسيط أو المزخرف. يمكن أن يكون المقياس مزخرفاً بتفاصيل دقيقة مثل النقوش، مما يضفي إليها لمسة من الأناقة والتميز، تتميز هذه المجوهرات بأنها متاحة بأحجام مختلفة، وعادةً ما تُلبس في اليدين، ويمكن للمرأة أن ترتدي أكثر من مقياس في نفس الوقت. وفي بعض الثقافات، يكون ارتداء عدد كبير من المقياس علامة على الثراء أو الفخامة. يمكن أن تعكس هذه الحلي أيضاً رموزاً اجتماعية أو عائلية، ويشاع استخدامها في العديد من البلدان العربية والمجتمعات التي تولي أهمية كبيرة للمجوهرات التقليدية.

صورة عدد 12: أنواع من المقياس



11.3- الخُلْخَالُ:

هو من مكونات الخُلِي التقليدية التي تلبس في القدم يتميز بشكله الدائري الذي يلتف حول الكاحل أو القدم. غالبًا ما يصنع الخللخال من الفضة، ونادرا ما يكون من الذهب. (Bokouri, 2011, p. 174) هذه الحلية غالبًا ما تكون دائرية الشكل، ويبلغ قطرها عادة حوالي 12 سنتيمترًا، ويكون وزنها خفيفًا، مما يجعلها مريحة للارتداء. يتم تزيين الخللخال أحيانًا بنقوش دقيقة، مما يضفي لمسة فنية وجمالية له. وتاريخيًا تجدر الإشارة إلى أن أصل الخللخال شرقي ووجوده يرجع إلى فترات تاريخية قديمة، وكان منتشرًا لدى العرب قبل الإسلام (Marçais, 1958, p. 08).

وإلى اليوم، لا يزال الخللخال يستخدم في بعض المناطق كجزء من الزينة في المناسبات الخاصة، مثل الأعراس والحفلات التقليدية. ورغم تطور الموضة والمجوهرات، يظل الخللخال يحظى بشعبية لدى النساء، سواء كقطعة تقليدية أو كإكسسوار عصري يعكس التراث. وفي بعض الأحيان، يصدر الخللخال أصواتًا خفيفة عند تحرك القدم، مما يثير انتباه الحاضرين. وفيما يلي بيت من شعر المهاذبة حول الخللخال:

نُحِبُّ عَلَى الْخُلْخَالِ فَوْقَ جَرَايِدِ نَزَقْدُ صَحِيحُ نَوْضِ حَالِ بَايِدِ

صورة عدد 13: الخللخال



4- اللباس وعلاقته بالوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة

يمكن التمييز بين المرأة الفقيرة والمرأة الميسورة انطلاقًا من اللباس خاصة وأنه يعتبر إحدى العلامات الخارجية البارزة لليسر أو الثروة في مثل هذه المجتمعات البدوية ولئن كانت الفروق بين الفتيتين في بداية القرن العشرين تقتصر على احتكار المرأة الميسورة لألبسه من أقمشة جيدة ومنسوجات متقنة الصنع، فقد توسعت في أواخره وفي بداية النصف الثاني منه وأصبحت أكثر

وضوحا بسبب تفاقم التأثيرات الخارجية- والداخلية التي أشرنا إليها سابقا وتبرز مظاهر التفاوت الاقتصادي في مختلف الألبسة سواء منها لباس الرأس أو البدن أو القدم (براهمي، 2016، صفحة 162).

1.4- لباس الرأس

يدل لباس الرأس على الوضع المادي للمرأة لباس، فالمحرمة عند المرأة الفقيرة يمكن أن تكون مجرد قطعة قماش مقطوعة من الملحفة أما بالنسبة للمرأة الميسورة فهي محرمة رأس تشتري جاهزة من الأسواق. وبالنسبة للبخنوق فإن المرأة الفقيرة تكتفي بالبخنوق الذي يتم صناعته محليا من الصوف، أما المرأة ميسورة الحال فترتدي بخنوق من الصوف أو من أقمشة أخرى كما يمكن أن يكون منسوجا من أشرطة حريريا. والتمائم لا تكون سوى من نصيب المرأة الميسورة.

2.4- لباس البدن

من أهم مكونات لباس البدن "السورية" وهي بالنسبة إلى المرأة الميسورة تشتري جاهزة من الأسواق، حيث تكون خياطتها متقنة. أما المرأة الفقيرة فتقوم بخياطتها يدويا. كما أنها في بعض الحالات لا تمتلك سورية. وبالنسبة للحرام الجريدي غالبا ما يكون من نصيب المرأة الميسورة. كما تتميز المرأة المتزوجة بكبر حجم الحزام حيث يتكون من عدد كبير من الخيوط المضفورة التي يفوق عددها في سائر الأيام العشرة، وقد يتجاوز ذلك بكثير في المناسبات.

أما حزام النسوة كبيرات السن فيتكون من عدد قليل من الخيوط المضفورة سواء من القطن والصوف وغالبا ما يكون عند نساء المهاذبة أبيض اللون، على عكس الهمامة يكون أخضر اللون (الكثيري، 2016) وهذا مقطع من أغنية بدوية من تراث المهاذبة تعبر عن الحزام:

حُزَامُ الْبُقْصِ¹⁴ فِي الْمُنْدَرَةِ¹⁵ فَابْلِي¹⁶ ذَهَبُ شِيرَتِي¹⁷ وَغَدَى¹⁸ الْبَعَايِرِ¹⁹ مَيَّ

وللحزام وظيفة أخلاقية تبرز في اعتبار عدم ارتدائه من قبل المرأة المتزوجة عيبا وخروجا عن الأعراف والتقاليد لأنه يستر جزءا حساسا من جسدها ويخفي مفاتها، خاصة إذا كان كبير الحجم (خرتيف، 1991، صفحة 134) كما ورد في الأغنية التالية:

حَزِيمُ رِيْدِي مَا أَسْمَحُ لِيَّانَه يَا الْعُكْرِي سَهْرَانَه

¹⁴ المع

¹⁵ البيدر

¹⁶ تلامحته

¹⁷ أصبحت فاقد التركيز

¹⁸ أضع

¹⁹ جمع بعير

3.4- لباس القدم

يتمثل لباس القدم عند المرأة الميسورة في "البلغة" أو "الكونترا" التي يتم شراؤها جاهزة من الأسواق، وأما المرأة الفقيرة فتنتعل "طرباغة القاعة" أو "طرباغة الحلفاء"، أو تكون حافية (لبىض ز، 2016).

4.4- الحلي

يعتبر اللباس من أهم المؤشرات والأدلة لمعرفة الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة. فالمرأة المتزوجة بإمكانها لبس مختلف أصناف الحليّ (النوري، 2016)، سواء الحلي الذي يُلبس يوميا، أو الحلي الذي يُلبس في المناسبات. أما المرأة المطلقة أو الأرملة أو غير المتزوجة فلا يمكنها إلا لبس القليل من الحلي وخاصة الضروري منه مثل الخلال الذي يتم به شد الملحفة. وهذا يندرج ضمن العادات والتقاليد عند المهاجرة فيما يخص جانب اللباس انطلاقا من الوضع الاجتماعي للمرأة. وبالنسبة إلى الجانب الاقتصادي فإنه أصبح التمييز بين العائلات الفقيرة والعائلات الميسورة حسب صنف الحليّ، فالعائلات الميسورة تمتلك الذهب وتدخره لوقت الحاجة والعائلات الفقيرة تمتلك الفضة. فالمرأة الفقيرة في بعض الحالات لا تمتلك أي قطعة من الحلي بما في ذلك الأساسي منه "كالخلال"، حيث تقوم بوضع حصاة مكان كل خلال وربطها بخيط بعد تجميع طرفي الملحفة مع بعضهما. في حين أن المرأة الميسورة ترتدي "خلال" و"حجر" من الذهب.

خاتمة

عملنا من خلال البحث الميداني على جمع وتوثيق ما توفر من أزياء تقليدية لدى المرأة البدوية عند المهاجرة بمنطقة المزونة، وذلك حتى نتحقق الاستفادة من الناحية العلمية وكذلك للمحافظة على أهم تفاصيل هذا الموروث من الاندثار. واللباس جزء من الذاكرة الثقافية الشعبية الحية، فهو يؤدي وظائف لا مادية تدعونا إلى البحث في خصوصياته والاهتمام به باعتباره مكونا أساسيا في نحت ملامح الشخصية.

يُظهر اللباس التقليدي كعنصر ثقافي مميز في كل مجتمع، رمزية عميقة تتجاوز مجرد كونه وسيلة لحماية الجسم من العوامل الطبيعية. ومن خلال المقاربة الأنثروبولوجية، يتجلى اللباس كأداة تعبيرية تنطوي على مجموعة من المعاني الاجتماعية والثقافية والرمزية التي تساهم في تشكيل هوية الأفراد والجماعات. سواء كان هذا اللباس يحمل دلالات طبقية أو دينية أو ثقافية، فهو يظل مرآة تعكس القيم والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع. يمكن قراءة مجموعة من الرسائل المتضمنة في اللباس التقليدي للمرأة "المهذبة"، وهو أيضا وسيلة اتصالية غير لفظية تساعد على إيصال هذه الرسائل المتعلقة في جانب منها بالهوية وفي جانب ثان بالوضع الاجتماعي للمرأة. فالحليّ واللباس عموما

يرمزان ويدلان على الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في قبيلة المهادبة وفي كل القبائل والمجتمعات ذات الصبغة البدوية.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، رجب عبد الجواد (2002). *المعجم العربي أسماء الملابس*. القاهرة، دار الأفاق العربية.
- بالكلجة، عادل وبن ريانة رمضان (2003). *طلبة التقليدية والحداثة في المجتمع العربي*. تونس. مطبعة توب للطباعة.
- التيومي، الهادي (2021). *كيف صار التونسيون تونسيين*. تونس. دار محمد علي الحامي. الطبعة الرابعة.
- الحباشي، محمد علي (2016)، *عروش تونس، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع*.
- حنا، نبيل صبيحي (1984). *المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي (دراسات نظرية وميدانية)*. القاهرة. دار المعارف
- الزواوي، بريم، بن تنفوس، محجوب، ولويس، سوجي (2021). *الأزياء التقليدية النسائية في تونس*. (مؤلف جماعي). تونس. منشورات دار الكتب الوطنية.
- سمحون، بوغزيز (2013)، *الغناء البدوي للمهادبة بمنطقة المزونة: دراسة تحليلية موسيقية*. رسالة ختم الدروس لنيل شهادة الماجستير في العلوم الثقافية، تونس، المعهد العالي للموسيقى بتونس
- فنطر، محمد حسين (1999). *الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، منشورات البحر الأبيض المتوسط*.
- خريف، محي الدين (1991) *الشعر الشعبي التونسي: أوزانه وأنواعه*. 50. تونس/ليبيا، الدار العربية للكتاب.

Bokouri, F.2011, *Parures et bijoux d'Algérie à travers l'histoire*. Alger. Ministre de culture.

DOZY, R. 1845, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*. Amsterdam.

Jean Muller.

Leroux, P. E. 1906, *Dictionnaire des Bijoux de l'Afrique du Nord: Maroc, Algérie, Tunisie*.

Paris. Tripolitaine. Editeur

MARAIS, G. 1958, *Les bijoux Musulmans de l'Afrique du Nord*. Algérie. Imprimerie officielle.

Pommerol, M. J. 1898, *Une Femme chez les Sahariennes*. Paris. Ernest Flammarion E diteur

Villacrose, A. 1875, *Vint Ans en Algérie*. Paris . Challamel Ainé. L. Commissionnaire.

-براهمي، عبد الكريم. (2016). "الأزياء التقليدية للمرأة التونسية: علامات ورموز بر الهمامة نموذجا مقارنة أنثروبولوجية". مجلة الثقافة الشعبية. ع. 32. البحرين: الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر.

المقابلات:

زينة الكثيري يوم 23 مارس 2016.

مقابلة مع السيدة زينة الكثيري، يوم 14 أبريل 2016.

مقابلة مع السيدة مبروكة لبيض، المزونة يوم 14 أبريل 2016.

مقابلة مع السيدة فاطمة النوري يوم 06 أبريل 2016.